الفصل الرابع

الفنون التشكيلية:الرسم ، التصوير، النحت

- التصوير سمة القرآن الكريم .
- حكم الرسم والتصوير .
- حكم التماثيل .

«التصوير» سمة القرآن الكريم

كان الفن التشكيلى ـ من رسم ونحت وتصوير ـ ولايزال يثير جدلاً واسعًا ، ويطرح تساؤلات عديدة حول مدى مشروعيته من وجهة النظر الإسلامية .

فعلى الرغم من مرور قرون عديدة حول هذه القضية ، إلا أنها مازالت محل البحث والحوار والنقاش بين المؤيدين لمشروعيتها ، والمعارضين لها ، من علماء وفقهاء ومؤرخين .

وقبل أن نخوض غمار هذا الجدل ، نود أن نشير إلى أن هذا الوجود كله ، وهذا الكون الفسيح المتسع الأرجاء ، بما فيه من دلائل قدرة الله تعالى ، من إنسان وحيوان ، ونبات وجماد وأشجار وأزهار ، وبحار وأنهار ، وظلال وأنوار ، وبما فيه من حياة وأحياء ، وكل مفردات الطبيعة ، فى ظل تنسيق رفيع وتنظيم بديع ، إن هذا كله لينطق بنعم الله التى لا تعد ولا تحصى ، التى حبا بهما الإنسان .

فإذا ما قام الفنان ـ المصور أو الرسام ـ بتصوير لمحات من هذا الجمال الربانى فى الكون ؛ ومحاكاة الواقع ، بعدسته أو ريشته ، فى صورة جميلة أو لوحة رائعة ، فهو إنما يوظف بذلك الفن التشكيلى عموماً فى إبراز جماليات فى المجتمع ، سواء كانت روحية ، مثل القيم والمبادئ الإنسانية ، أو مادية ، كبعض مفردات الطبيعة أو التراث العربى والإسلامى .

فاللوحة الفنية التى يصنعها الرسام مرتبطة أساسا بتوحيد وتسبيح الله ، الذى خلق العقل الإنسانى الذى يفكر ويبدع ، واليد التى ترسم ، فنحن عندما نشاهد لوحة أو صورة جميلة ،نقول : « الله » !!

وإذا نحن تأملنا أسلوب القرآن الكريم ـ معجزة الإسلام العظمى ـ وجدناه فى كثير من آياته يحفل بـ « الصورة التعبيرية » ، أى نقل المعانى والأفكار من خلال الحروف والكلمات ، لـ « ترسم » لنا ما يكون أشبه بـ « اللوحة » المحسة المرئية المشاهدة .

إن « التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة

المتخيلة عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المتطور ، وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية ، ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة ؛ فيها الحياة ، وفيها الحركة ؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل.

فإذا ما ذكرنا أن الأداة التى تصور المعنى الذهنى والحالة النفسية ، وتشخص النموذج الإنسانى أو الحادث المروى ، إنما هى ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ، ولا شخوص تعبر ، أدركنا بعض أسرار الإعجاز فى تعبير القرآن.

والأمثلة على هذا الذى نقول هى القرآن كله، حيثما تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرناها، حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد ، أو حالة نفسية، أو صفة معنوية، أو نموذج إنسانى، أو حادثة واقعة، أو قصة ماضية ، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم والعذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلاً فى جدل أو محاجة، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقًا، واعتمد فيه على الواقع المحسوس، والتخيل المنظور .

وهذا هو الذى عنيناه حينما قلنا :«إن التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن»، فليس هو حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيثما اتفق، إنما هو مذهب مقرر ، وخطة موحدة ، وخصيصة شاملة ، وطريقة معينة تستخدم بطرائق شتى ، وفى أوضاع مختلفة ،ولكنها ترجع فى النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة : قاعدة التصوير.

ويجب أن نتوسع فى معنى التصوير ، حتى ندرك آفاق التصوير الفنى فى القرآن ، فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالإيقاع ، وكثيرًا ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، فى إبراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر الواجدان.

وهو تصوير حى منتزع من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة ، وخطوط جامدة ، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات ، بالمشاعر والوجدانات ، فالمعانى ترسم وهى تتفاعل فى نفوس آدمية حية ، أو فى مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة » (١) .

---

(١) سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن ، دار المعارف ، ص ٣٤ ، ٣٥ بتصرف .

أمثلة على التصوير القرآنى :

وهذا مثال على تجسيد القرآن الكريم للمعانى والأفكار فى صور محسة مشاهدة ، ففى سورة القلم قصة قصيرة ترتعد لها فرائص المؤمنين الموسرين ، سوف نعرض مشاهدها فى لقطات متتابعة . قال تعالى : ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨)** ﴾ [القلم] .

إنها قصة رجل يملك جنة وارفة الظلال ، وافرة الفواكة والثمار ، كان قد اعتاد عند قطافها أن يعطى الفقراء والمساكين نصيبهم منها ، وبعد موت الرجل رأى أولاده أن يمنعوا الفقراء والمساكين حقوقهم فى الحديقة ، وأجمعوا أمرهم بينهم إلا أخاً وسطاً فى عمره نهاهم عن ذلك ، ولكنهم أصروا وبيتوا أمرهم على ذلك ، وتأتى اللقطة التالية : ﴿ **فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)** ﴾ [القلم] فتسمع أو تقرأ كأنك ترى هذا البلاء الذى أرسله الله على حديقتهم فى غمرات الظلام ، فاقتلع أشجارها وأطاح بها ، حتى غدت قاعًا صفصفًا كأن لم تغن بالأمس ، وتنتقل إلى هذه اللقطة ﴿**فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧)** ﴾ [القلم].

وفى هذه الصورة الحية نرى الإخوة يذهبون فى صباحهم مبكرين إلى حديقتهم، لتنفيذ ما اعتزموا عليه ، حتى كأننا نسمع همسهم وهم ﴿ **يَتَخَافَتُونَ (٢٣)** ﴾ ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد ، حيث وجدوا حديقتهم قد أصبحت أثرًا بعد عين ، فالتبس عليهم الأمر ، فنراهم عبر « المشهد القرآنى » فى حيرة من أمرهم ؛ يروحون ويجيؤون ويتخبطون، ويقولون : ﴿ **إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦)** ﴾،يظنون أنهم قد ضلوا الطريق إلى حديقتهم، فلقد تركوها بالأمس خضراء ، دانية القطوف والظلال ، فأين هى ؟! وأين أشجارها وثمارها ؟! وأين مياهها وأنهارها ؟! وردًا على هذا السؤال،تأتى اللقطة التالية بالإجابة: ﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨)** ﴾ [القلم] ، وفى وسط هذه الحيرة يردهم أخوهم إلى رشدهم ويؤكد لهم أنها جنتهم ، ولكن الله حرمهم منها منذ عزموا على حرمان الفقراء نصيبهم فيها ، ثم يأتى المشهد الختامى لهذه القصة شاخصًا حيًا : ﴿**قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا**

كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢)﴾ [القلم]في هذا المشهد « نرى » الإخوة ،و « نسمع » أصواتهم تتعالى ،وهم « يتلاومون » ،واعترافهم بذنبهم، وإنابتهم إلى ربهم ،ودعاءهم إلى الله أن يبدلهم خيرًا منها،ويأتى التعقيب القرآنى على هذه اللقطات المتتابعة للقص: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [القلم]،فهذا هو عذاب الباغين المانعين لحقوق الفقراء والمساكين ، ولعذاب الله أكبر، ولثواب الله للمتقين أعظم ،والقصة بتمامها فى سورة القلم : (١٧ ـ ٣٣) .

ألم نقل ـ كما تبين لنا من المشهد السابق ـ أن القرآن يحيل القارئ أو المستمع ـ عبر توالى المناظر وتجدد الحركات ـ إلى مُشاهد يرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه !!

وهذه أمثلة أخرى (١) ، تخرج لنا المعانى الذهنية فى صورة حسية :

١ ـ يريد القرآن أن يبين أن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله ، ولن يدخلوا الجنة إطلاقاً ، وأن القبول أو الدخول أمر مستحيل ، هذه هى الطريقة الذهنية للتعبير عن المعانى المجردة ، ولكن أسلوب التصوير يعرضها فى الصورة الآتية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

ويدعك ترسم بخيالك صورة لتفتُّح أبواب السماء ، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ فى سم الخياط ، ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم « الجمل » خاصة فى هذا المقام ، ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالصورتين ما شاء له التأثر ، ليستقر فى النهاية معنى القبول ومعنى الاستحالة فى أعماق النفس ، وقد ورد إليها من طريق العين والحس ـ تخيلاً ـ وعبر إليها من منافذ شتى ، لا من منفذ الذهن وحده ، بل فى سرعة الذهن التجريدية .

٢ ـ ويريد أن يبين أن الله سيضيع أعمال الذين كفروا كأن لم تكن قبلْ شيئًا، وستضيع إلى غير عودة فلا يملكون لها ردًا ، فيقدم هذا المعنى مصورًا فى قوله : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾ [الفرقان] ، ويدعك تخيل صورة الهباء المنثور ، فتعطيك معنى أوضح وآكد للضياع الحاسم المؤكد .

أو يرسم هذه الصورة المطولة بعض الشىء لهذا المعنى نفسه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) سيد قطب : مرجع سابق ،ص ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ بتصرف .

بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [إبراهيم:١٩] ، فتزيد الصورة حركة وحياة ، بحركة الريح فى يوم عاصف ، تذرو الرماد وتذهب به بدداً، إلى حيث لا يتجمع أبداً .

٣ ـ ويريد أن يبرز معنى : أن الله وحده يستجيب لمن يدعوه ، وينيله ما يرجوه ؛ وأن الآلهة التى يدعونها مع الله لا تملك لهم شيئًا ، ولا تنيلهم خيراً ، ولو كان الخير قريباً ؛ فيرسم لهذا المعنى هذه الصورة العجيبة : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد] .

وهى صورة تلح على الحس والوجدان ، وتجتذب إليها الالتفات،فلا يستطيع أن يتحول عنها إلا بجهد ومشقة،وهى من أعجب الصور التى تستطيع أن ترسمها الألفاظ : شخص حى شاخص ، باسط كفيه إلى الماء ، والماء منه قريب يريد أن يبلغه فاه ، ولكنه لا يستطيع ، ولو مد مدة فربما استطاع !!

حكم الرسم والتصوير

القرآن الكريم هو الدستور والمرجع الأساسى فى تحديد مشروعية الأشياء ، ويبدو واضحاً أن القرآن الكريم لم يأت فى شأن « الرسم والتصوير » بنص صريح يقضى بالتحريم أو الإباحة أو الكراهية ، وإنما كان هناك هجوم عنيف على الأصنام والأوثان وعبادتها .

فالقرآن الكريم لا يناصب الرسم أو التصوير العداء، إلا إذا كان ذلك وسيلة إلى فعل ما لا يقرُّه القرآن ، كتقديس المصلحين ، أو تعظيم المفسدين ، وكل ما من شأنه خدش حقيقة التوحيد ، أو إذا قصد من ذلك إثارة الشهوات .

أما إذا جاءت « اللوحة » أو « الصورة » خلواً من هذه « المحرمات » وغيرها ، فإنها تدخل فى نطاق « الإباحة » ، فلا تعميم إلا بنص ، كأن يكون المقصود إبراز آيات الله فى الإنسان والكون والحياة ، والتذكير بنعمة الله .

فالتصوير والرسم ، شأنه شأن كل شىء ، يحتمل أن يكون محرمًا أو مباحًا ؛ فالأمر هنا يتوقف على نية المصور والرسام،وكذلك على نية الشخص الذى يستخدم الصورة واللوحة ، فالرسم والتصوير هنا ـ بتعبير علماء أصول الفقه ـ ليس محرمًا لذاته، بل قد يحرم لغيره ، أى: لما قد يقترن به من محرمات !!

ووضعاً للأمور فى نصابها الصحيح ، ومنعاً للخلط والإبهام ، يتعين أن نحدد المقصود بـ « الصورة »،التى ورد النهى عنها فى الأحاديث النبوية الشريفة ، و «المصورين» فى عرف المسلمين فى الصدر الأول للإسلام .

فمما لا شك فيه أن المقصود بـ« الصور » فى سياق الأحاديث النبوية هو «التماثيل»، فالصور عند العرب قديمًا يقصد بها « الأصنام » و« الأوثان » ، فهم لم يعرفوا فى ذلك الوقت آلات التصوير ، أو الرسم بالألوان ، فكانت « الصورة » على هيئة تمثال ينحت ، أو يحفر على الحجر والخشب ، أو يرسم بالنسج على المنسوجات ، أما التصوير الضوئى فلا عهد لهم به .

ويبدو أن « الصور : التماثيل » آنئذ كانت مما يعبدها الناس ويقدسونها من دون الله،كما هو حال الأصنام والأوثان عند العرب ، وكذلك تقديس النصارى والمجوس لزعمائهم ورؤساء دينهم فى صورة تماثيل لهم .

وقد روى مسلم عن أبى الضحى ، قال : كنت مع مسروق فى بيت فيه تماثيل ، فقال لى مسروق : هذه تماثيل كسرى ؟ فقلت : لا ، هذه تماثيل مريم ، كأن مسروقًا ظن أن التصوير من مجوس ، وكانوا يصورون صور ملوكهم حتى فى الأوانى ، فظهر أن التصوير كان من نصارى ، وفى هذه القصة قال مسروق : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : سمعت النبى ﷺ يقول : « إن أشد الناس عذابا عند الله المصورون ».

وفى الحديث الذى يرويه أبو هريرة ، أن الرسول قال متحدثاً عن خير الناس يوم القيامة :« يجمع الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ، ثم يطلع عليهم رب العالمين ، ثم يقال : ألا تتبع كل أمة ما كانوا يعبدون ؟ فيتمثل لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب الصور صوره ، ولصاحب النار ناره ، فيتبعون ما كانوا يعبدون ، ويبقى المسلمون » رواه الشيخان .

فالحديث يشير إلى أن الأمم التى حادت عن التوحيد قد تمثلت لها معبوداتها ، فالصليب للنصارى ، والصور ـ أى الأصنام والأوثان ـ للوثنيين ، والنار للمجوس ، فالصورة ـ كما يؤكد الحديث ـ هى ما كان يعبده المشركون ، وما كانوا يعبدون «الصور» التى نعرفها اليوم ، بل كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ، فهى المقصودة بالنهى .

وعلى ذلك فإن « الصور الضوئية » و« اللوحات المرسومة » إن كانت لغير ذى روح من النباتات والزهور والأشجار والبحار والأنهار والجبال والشمس والقمر والنجوم والكواكب ، وغير ذلك مما تحويه الطبيعة من نبات أو جماد ، فإن تصويرها أو رسمها من الأمور المباحة بلا ريب .

ويؤيد هذا ، أن رجلاً من أهل العراق ، كان يحترف التصوير جاء إلى عبد الله بن عباس ، فقال له : « إنى رجل أصور هذه الصور ، فافتنى فيها »، فقال له ابن عباس: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ، وهو يقول :« كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذبه فى جهنم »، ثم يوجه ابن عباس الرجل إلى إمكانية أن يقوم بتصوير ما لا روح أو حياة فيه ، فيقول له : « فإن كنت فاعلاً ، فاجعل الشجر

وما لا نفس فيه » رواه الإمام أحمد .

والصورة واللوحة أيضاً إذا كانت لذى روح ، ولا تحتوى على أى أمر يتعارض مع صحيح الدين ، كتقديس صاحب (أو صاحبة) الصورة ، أو أن تهدف الصورة إلى إثارة الشهوات ، كالصور العارية ، وغير ذلك من المحظورات الدينية ، فإنها ـ أى الصورة أو اللوحة ـ إذا خلت من ذلك تدخل فى نطاق الإباحة .

وقد روى الترمذى عن عتبة أنه دخل على أبى طلحة الأنصارى يعوده ، فوجد عنده سهل بن حنيف ، قال : فدعا أبو طلحة إنسانا ينزع تحته نمطاً (أى ثوبًا أو بساطًا فيه نقوش وتصاوير) فقال له سهل : لم تنزعه ؟ قال : لأن فيه تصاوير، وقال فيه النبى ﷺ ما قد علمت ، قال سهل: أو لم يقل : « إلا ما كان رقماً فى ثوب » ، أى: ما يزين الثوب من صور ورسوم .

بل إننا نجد فى السنة العملية للنبى ﷺ فى بيته ما يزيل هذا الالتباس ، حيث يقول أنس بن مالك : كان قرام (أى ستر به صور ونقوش) لعائشة قد سترت به جانب بيتها، فقال لها الرسول ﷺ: « أميطى عنا قرامك هذا ، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى » رواه الإمام أحمد .

فنحن نرى من هذا الحديث أن علة الكراهة أو التحريم ، ليست فى الستر ذى الصور فى حد ذاته ، وإنما تتعلق بأنه ـ وهو أمامه ـ يشغله عن الصلاة ،فإذا ما انتفت هذه العلة ، انتفى التحريم ، وعاد الأصل وهو الإباحة .

وفى رواية أخرى لهذا الحديث ، ما يؤكد هذا المعنى الذى ذهبنا إليه ، فعن عائشة قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر ـ أى صورة لذى روح ـ وكان الداخل إذا دخل استقبله ، فقال لى الرسول ﷺ: « حولى هذا ، فإنى كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا » رواه مسلم .

فالنبى الكريم هنا لم يأمر عائشة بتمزيق الستر ذى الصورة ذات الروح أو حرقها أو إتلافها ، وإنما أمر فقط بتحويله من مكانه إلى مكان آخر .

وفى سياق الحديث عن النعم التى أعدها الله لعباده المتقين فى جنات النعيم، يحدثنا النبى ﷺ،فيما يرويه على بن أبى طالب:« إن فى الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها » رواه الإمام أحمد .

رأى بعض العلماء :

نخلص من العرض السابق لموقف الإسلام ـ من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية القولية والعملية ـ من الرسم والنقش والتصوير الضوئى ـ الفوتوغرافى ـ إلى إباحة ذلك، ونحن حينما ننتهى إلى هذا الرأى ، مطمئنين إليه ، لا ننظر إلى أمر واقع ، أو ضرورة ملحة ، وإنما نستلهم هذا الرأى من روح الشريعة ومقاصدها ، بل من النصوص النبوية التى عرضنا لبعض منها ، وقد ذهب إلى الحل أو الإباحة للرسم والتصوير كثير من العلماء والفقهاء القدامى والمعاصرين ، ونعرض فيما يلى لرأى بعضهم :

يقول الطحاوى ـ وهو من أئمة المذهب الحنفى : « إنما نهى الشارع أولاً عن الصور كلها ـ وإن كانت رقما ـ لأنهم كانوا حديثى عهد بعبادة الصور ، فنهى عن ذلك جملة ، ثم لما تقرر نهيه عن ذلك أباح ما كان رقما فى ثوب للضرورة إلى اتخاذ الثياب ، وأباح ما يمتهن ؛ لأنه يأمن على الجاهل تعظيم ما يمتهن ، وبقى النهى فيما لا يمتهن » (١) .

ويقول فضيلة الشيخ محمد عبده ، بعد وصفه لما شاهد فى متاحف « صقلية » وبعد حديثه عن دور الرسم والصور فى « حفظ العلم وتخليده » : « وربما تعرض لك مسألة ، وهى : «ما حكم هذه الصور فى الشريعة الإسلامية ؟ إذا كان أوضاعهم القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر فى انفعالاتهم النفسية وأوضاعهم الجسمانية؟ هل هذا حرام أو جائز أو مكروه ، أو مندوب ، أو واجب ؟

فأقول لك: إن الراسم قد رسم، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم الصورة قد محى من الأذهان ، فإما أن تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة ، وإما أن ترفع سؤالاً إلى المفتى ، وهو يجيبك مشافهة ـ لاحظ أن المفتى هنا هو المتكلم، وهذا جوابه !! ـ فإذا أوردت عليه حديث: « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ، أو فى معناه مما ورد فى الصحيح ، فالذى يغلب على ظنى أنه ـ أى هو ـ سيقول لك : إن الحديث جاء فى أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد لسببين :

الأول : اللهو .

والثانى : التبرك بتمثال من ترسم صورته من الصالحين .

---

(١) سيد سابق: فقه السنة دار الكتاب العربى ، ٣/ ٣٦٩ .

والأول ما يبغضه الدين ، والثانى : مما جاء الإسلام لمحوه ، والمصور فى الحالين شاغل عن الله ، فإذا زال هذان العارضان ، وقصدت الفائدة ، كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات ، وقد صنع ذلك فى حواشى المصاحف وأوائل السورة ولم يمنعه أحد من العلماء ، مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضوع النزاع ، أما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه .

ولا يمكنك أن تجيب المفتى : بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة ، فإنى أظن أنه يقول لك : إن لسانك أيضا مظنة الكذب ، فهل يجب ربطه ، مع أنه يجوز أن يصدق ، كما يجوز أن يكذب ؟!

وبالجملة : فإنه يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق أنه لا خطر فيه على الدين ، لا من جهة العقيدة ، ولا من جهة العمل ، وليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صورة الإنسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية » (١) .

ويقول فضيلة الشيخ محمد السايس : « ولعلك تريد أن تعرف حكم ما يسمى بالتصوير الشمسى ، فنقول : يمكنك أن تقول: إن حكمها حكم الرقم فى الثوب ، وقد علمت استثناءه نصًا ، ولك أن تقول : إن هذا ليس تصويرًا، بل حبسًا للصورة ، وما مثله إلا كمثل الصورة فى المرآة ، لا يمكنك أن تقول :إن ما فى المرآة صورة ، وإن أحداً صورها ، والذى تصنعه آلة التصوير « الفوتوغرافية » تثبيت الظل الذى يقع عليها، والمرآة ليست كذلك،ثم توضع الصورة أو الخيال الثابت « العفريتة » فى حمض خالص فيخرج منها عدة صور،وليس هذا بالحقيقة تصويرا،فإنه إظهار واستدامة لصور موجودة ، وحبس لها عن الزوال،فإنهم يقولون:إن صور جميع الأشياء موجودة غير أنها قابلة للانتقال بفعل الشمس والضوء ، ما لم يمنع من انتقالها مانع ، والحمض هو ذلك المانع ، ومادام فى الشريعة فسحة بإباحة هذه الصور ، كاستثناء الرقم فى الثوب فلا معنى لتحريمها ، خصوصًا وقد ظهر أن الناس ، قد يكونون فى أشد الحاجة إليها»(٢).

---

(١) محمد عبده : الأعمال الكاملة ، تحقيق : د. محمد عمارة ، ٢/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) محمد السايس : آيات الأحكام ، ٤/٦١ .

ويقول الشيخ محمد بخيت ـ مفتى مصر الأسبق : « إن أخذ الصورة بالفوتوغرافيا ـ الذى هو هنا عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة ـ ليس من التصوير المنهى عنه فى شىء ؛ لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل ، يضاهى بها حيواناً خلقه الله تعالى ، وليس هذا المعنى موجوداً فى أخذ الصور بتلك الآلة » ، كما نقل الشيخ بخيت عن الخطابى قوله: «الذى يصور أشكال الحيوان ، والنقاش الذى ينقش أشكال الشجر ونحوها ، فإنى أرجو ألا يدخلا فى هذا الوعيد ، وإن كان جملة هذا الباب مكروهاً ، وداخلا فيما يشغل القلب بما لا يعنى » ، وقد علق الشيخ بخيت على هذا بقوله : « وما ذاك إلا لأن مصور شكل الحيوان لا يوجد صورة الحيوان ، بل إنما يرسم شكله وصورته ، والصورة التى على هذا الوجه قد فقدت أعضاء كثيرة لا تعيش بدونها ، بل هى فاقدة للجرم ، فليست هى صورة الحيوان التى يكلف مصورها يوم القيامة نفخ الروح فيها ، وليس بنافخ ؛ لأن الظاهر أن الصورة التى يقال فيها ما ذكر ، هى الصورة المجسمة ذات الظل التى لم تفقد عضواً لا تعيش بدونه ، حتى تكون قابلة بذاتها لنفخ الروح فيها ، فيكون عجز المصور عن النفخ راجعاً إليه ، لا لعدم قابلية الصورة للحياة » (١) .

ويقول الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر السابق : « الذى تدل عليه الأحاديث النبوية الشريفة ـ التى رواها البخارى وغيره من أصحاب السنن وترددت فى كتب الفقهاء ـ أن التصوير الضوئى للإنسان والحيوان المعروف الآن ، والرسم كذلك لا بأس به متى كان لأغراض علمية مفيدة للناس ، إذا خلت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم ومظنة العبادة والتكريم ، وخلت كذلك من دوافع تحريك غريزة الجنس وإشاعة الفحشاء والتحريض على ارتكاب المحرمات » (٢) .

تراث التصوير الإسلامى :

لم يكن التصوير الإسلامى فى بدايته ذا موضوع بالمعنى المعروف اليوم ،وهى العلاقات التى تربط عناصر الصورة ، فكان غالباً ما يدور حول شخص فى موقف ما ، ومع بداية انتشار الإسلام بين شعوب وأمم وحضارات مختلفة ، بدأت تدخل عناصر

---

(١) رسالة الجواب الشافى فى إباحة التصوير الفوتوغرافى .

(٢) جاد الحق على جاد الحق : مرجع سابق ، ص ٣٤٥٥ .

جديدة فى فن الرسم والتصوير الإسلامى ، وعكست موضوعات التصوير حياة الأمراء وبلاط الملوك والسلاطين ،كما تكشف لنا أعمال المصورين المسلمين عن الواقعية التى كانت جزءاً من فنهم ، حيث صوروا الحياة اليومية لمختلف فئات المجتمع ، فازدانت بصورهم القصور والتكايا ، والخانات ، والأسواق ، والمدارس والمكتبات،والحدائق والحمامات ، والمقابر، والأسبلة،والسقف، والأبواب ، والنوافذ،والسيوف، والعصى، والسجاد ، والمنسوجات ،والستائر ، والأثاثات ، والزجاج، والأوانى المعدنية ، وأغلفة الكتب والمخطوطات . . .إلخ .

وكانت هناك أعمالاً فنية تصور المواكب العامة ، مثل : موكب الحجيج ، وقدوم شهر رمضان والأعياد ، وكذلك تصوير ركوب البحر وأعمال الصيد ، ومن الأعمال الفنية التى ازدهرت فى ظل الحضارة الإسلامية ، وأبدعها وتميز فيها المصور المسلم، فن التصاوير الفسيفسائية والرسوم الجدارية ، وأيضاً فن المنمنمات ، وهى صور إيضاحية لتزيين الكتب ذات الأهمية ، وكثيراً ما تحدد معانى الموضوعات الواردة فى الكتاب ، وقد أبدع الفنان المسلم فى دمجه بين « المصور » و « المجرد » فى آن معاً .

ومن أشهر هذه المنمنمات ، ورسومات« الواسطى » على مقامات الحريرى ، حيث تظهر تلك الرسومات التعديل الذاتى الذى قام به الفنان المسلم على الأصل البيزنطى لهذا الفن ، حيث ابتعد عن رسم الهالات المقدسة للأشخاص وتحولت إلى حواف ملونة، وكذلك اهتمامه بالتفاصيل التفاصيل المميزة لكل شخصية مرسومة من حيث الحركة والإيماءة [1].

لقد ازدهر فن التصوير الإسلامى ـ رسمًا أو نحتًا أو نسجًا ـ ويستشف من المصادر التى توافرت من خلال الآثار الفنية والمخطوطات وغيرها ، أن سوق المصورين كانت رائجة فى العصور الإسلامية المزدهرة ، وقد أشار المؤرخ الإسلامى « المقريزى » إلى أحد الكتب فى طبقات المصورين ، كان عنوانه « ضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوقين من الناس » ، كما أورد المقريزى أيضاً أسماء بعض المصورين الذين اشتهروا فى العصر الفاطمى ، مثل القصير وبنى المعلم والنازوك والكتامى . . . وهم من المصريين .

وقد كان الفنان المسلم فى تصويره للكائنات والموجودات فى الكون ، ينتقل من

(١) د وفاء إبراهيم : فلسفة فن التصوير الإسلامى ، هيئة الكتاب ، ص٢٣ .

تصوير الجمال إلى إيضاح الجلال للخالق المبدع ذى الجلال .

كذلك فإن تاريخ سك النقود الإسلامية منذ عصر النبوة يشير إلى عدم وجود هذه الحساسية المفرطة تجاه الرسم والتصوير ،وقد دأب ولاة المسلمين من خلفاء وملوك وأمراء على ضرب النقود ذات الصور والرسوم المختلفة للأشياء ، وكذلك للكائنات الحية من إنسان وحيوان وطير ، بل أقر خلفاء المسلمين التعامل بنقود الأمم الأخرى غير المسلمة ، وفيها ما فيها من الصور ، وأن يتداولها المسلمون فى ديار الإسلام !!

وهذه أمثلة من التاريخ الإسلامى تؤيد ما ذكرنا :

أقر الرسول ﷺ النقود التى كان يتعامل بها العرب فى الجاهلية ، وكانت ترد من ممالك الفرس والروم المجاورة ، وكانت مصورة !!

ـ ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نقوداً ذات رسوم كسروية .

ـ ضرب معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه دنانير منقوش عليها صورة رجل شاهراً سيفه .

ـ كما ضرب الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان دراهم ودنانير منقوش عليها صورة الخليفة وهو ناهض قابض بيده على قبضة سيفه ، وكان إمام التابعين الإمام الفقيه الورع سعيد بن المسيب رضي الله عنه يتعامل بهذه النقود ولم ينه عن تداولها ، وهو أحد الفقهاء السبعة فى المدينة المنورة آنئذ .

الصور العارية :

إذا كنا قد خلصنا إلى الرأى القائل بإباحة الرسم والتصوير ، فإن هذه الإباحة مقيدة بمضمون الصورة وموضوعها ، فإذا كان موضوعها مما لا يتعارض مع العقيدة والشريعة ثبتت الإباحة ، وإن كان مما يتعارض مع ذلك انتفت الإباحة .

فلا ريب أن الصور العادية أو شبه العارية للنساء ـ والرجال أيضاً ـ وإبراز المفاتن بما يثير الغرائز والشهوات ، مما يدخل الصورة أو اللوحة فى دائرة التحريم والتجريم ، وينسحب هذا التحريم من الرسم والتصوير ، إلى العرض والنشر والاقتناء والمشاهدة .

لقد دأبت كثير من الصحف والمجلات ـ ناهيك عن السينما والتليفزيون ـ على نشر الصور العارية ، بل هى لا تتورع عن إبرازها فى صدر صفحاتها الأولى ، وفى تبرير القائمين بهذ العمل الشائن ، يزعمون أن فى ذلك ترقية للوعى الفنى ، ويستخفون

بالعقول ، فيدَّعُون أن فى الصور العارية ما يحمل معنى الإحساس بالجمال ، والشكر والحمد لله واهب هذا الجمال ، أليس الله جميل يحب الجمال؟

وهكذا يهرفون بما لا يعرفون ، حقاً إن الإسلام بتوجيهاته وتعاليمه وآدابه ،يسمو بالذوق ، ويعلى أمر الجمال النظيف ، ويفسح المجال أمام الفنون والآداب الرفيعة ، كى تؤدى رسالتها النافعة فى خدمة المجتمع ، ولكن ذلك ـ فى إطار المنهج الوسطى للإسلام ـ لا يعنى أن يكون الفن والجمال وسيلة لإطلاق الغرائز من عقالها ، وإيقاظ الشهوات من سباتها وتوجيهها إلى غير هدفها الصحيح ، فتضرب فى كل واد ، وتتجاوز كل حد .

إن العرى والابتذال مرفوض ، والذين يروجون للصور العارية ، بزعم أنهم يقصدون الرمز لقضية إنسانية ، أو الإسقاط على ظاهرة اجتماعية بما يسمى بالطريقة «السريالية » التى يتم تفسير منهجها بتحليل الرمز ، كل هذا يؤثر سلباً على أخلاقيات المجتمع ، ويدفعه لاكتساب سلوكيات مرفوضة ، ويوحى له بإيحاءات تثير الغرائز والرغبات الكامنة ، خصوصاً لدى الشباب ، ذلك أن المتلقى ـ مهما كانت ثقافته ـ قد لا يصل إلى المعنى المجهول ؛ الرمز الذى يزعمه الفنان ؛ المصور أو الرسام .

ومثل هذا الفنان الذى يصر على هذا الأسلوب المبتذل ، هو فنان غير واع بظروف مجتمعه وما يحتاج إليه من تهذيب النفس البشرية ، بحيث يجب عليه أن يعبر بأدوات نظيفة ، ومن خلال فن نظيف ـ ليبرز ـ بالصورة أو اللوحة ـ الإنسان والنبات والجماد ، ليرمز إلى قضايا العصر ، وإلى مفاهيم يجب أن يوصلها إلى الناس فى المجتمع ، مفاهيم تتعلق بتقوية الإرادة ومقاومة الرذيلة ، فإذا نظرنا إلى حضارتنا العربية الإسلامية ،نجد أنها لم تقم فى أى عصر من العصور على الفنون المبتذلة ، ولكن قامت على أمجاد وبطولات أنجبت فنوناً صورت مآثر الأولين ، وأشارت إلى إبداع الخالق عز وجل فى مخلوقاته وكائناته .

فيجب أن يتجه المصور أو الرسام إلى إبراز هذه المعانى السامية ، بدلاً من الترويج للجنس عن طريق الفن ، لكى يصبح تجارة غير مشروعة ، والفنان المبدع الدارس والمثقف حقاً ، سوف يجد الوسيلة التى يعبر بها عن جميع المشاكل حتى تلك المتعلقة بالغريزة والجنس ، وذلك بصورة غير مباشرة من خلال رموز أكثر رقياً .

إن لكل فنان عالمه الخاص الذى يعيش فيه لحظات التأمل ، إلا أنه فى ذات الوقت يجب ألا ينفصل مطلقاً عن الواقع ومحيط المجتمع الذى يعيش فيه ، ويجب أن يعايشه بظروفه ومتغيراته ، وقيمه ومبادئه ، وعاداته وتقاليده ، التى تدور فى فلك العقيدة الدينية .

حكم التماثيل

التمثال : لغة : الصورة ، والجمع التماثيل ، وظل كل شيء: تمثاله ، والتمثال : اسم للشيء المصنوع مشبهًا بخلق من خلق الله،وأصله: من مثلت الشيء بالشيء : إذا قدرته على قدره ،ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به ،واسم ذلك الممثل تمثال(١).

فالتمثال : ما كان له ظل ، والصورة : ما لم يكن لها ظل ، فكل تمثال صورة ، وليس كل صورة تمثالاً .

والصور التماثيل ، هى التى يكون لها ظل ، وهى المصنوعة من الحجر أو الجبس أو الخشب أو المعادن (نحاس ـ حديد ـ برونز ـ ذهب ـ فضة ... إلخ) وغير ذلك، وهذه هى التماثيل .أما الصور التى ليس لها ظل ، وهى الصور « الفوتوغرافية » ، أو المرسومة على لوحة خشبية أو ورقية ، أو على السجاد والستائر ، أو المنقوشة على الجدران ، أو نحو ذلك ، فلا يعد من قبيل التماثيل .

وبداية ، فإن الإسلام إذا كان يقف موقفاً مرناً ومبيحًا ـ كما تبين من الصفحات السابقة ـ للنوع الأخير من الصور ، أى التى ليس لها ظل ، فإن الأمر جد مختلف ، إزاء النوع الأول من الصور والتماثيل ، أى التى لها ظل ، إذ نلحظ التشدد والاحتراز.

وقد ورد الحديث عن التماثيل بهذا المعنى الأخير صراحة فى القرآن الكريم ، فى موضعين اثنين .

ففى الأول،يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)** ﴾

[الأنبياء]

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، « مثل ».

فنحن نرى من هذه الآيات تحريم القرآن للتماثيل ؛ الأصنام التى عبدها قوم إبراهيم من دون الله ، إلى الحد الذى يجعل خليل الله إبراهيم ـ وبأمر ربه ـ يحطم هذه «التماثيل» ، التى هم لها عاكفون ، ويستنكر القرآن عملهم الشائن هذا ، ويعرض بهم : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء] ، وفى موضع آخر : ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات] .

وهذا الذى فعله أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، هو عين ما فعله خاتم الأنبياء محمد ﷺ حينما حطم الأصنام ـ التماثيل المعبودة ـ التى كانت تحيط بالكعبة المشرفة ، وهو يهتف بقول الله تعالى والمسلمون معه : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]

أما الموضع الثانى ، الذى ورد فيه حديث القرآن عن « التماثيل » باللفظ الصريح ، ففى قوله تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبا] .

يدل ظاهر هاتين الآيتين ـ كما يرى البعض ـ على إباحة صنع واقتناء التماثيل ، وهم يستندون ـ فى هذا الاستدلال ـ إلى أن الله تعالى ذكر « التماثيل » فى معرض الامتنان بنعمه التى أنعم بها على سليمان عليه السلام ؛ فهو قد سخر له الريح ، وأتاح له عيناً تفيض بالنحاس المذاب (القِطْر) وسخر له الجن تصنع له بعضاً من زينة الحياة الدنيا وجمالها؛ بيوتاً عالية (محاريب) ، وحفراً كبيرة (جفان) ، وقدورا راسيات ، وأيضاً « تماثيل » من زجاج ونحاس ورخام ، تصور الأحياء، بل وتصور الأنبياء والعلماء ، كما يقول القرطبى فى تفسيره .

على أن هذا الفهم الذى يقتضى إباحة التماثيل ينقضه كثير من العلماء ، على اعتبار أن هذه التماثيل التى ذكرت فى هذه الآية ، حتى على فرض إباحتها ، أو على فرض أنها كانت لذى روح وهو ما ليس بيقين ، هى من قبيل « شرع من قبلنا » ، الذى يثبت حكمه إذا لم يرد له ناسخ ، أما وقد ورد فى الشريعة الإسلامية ـ القرآن

والسنة ـ ما ينسخ هذا الحكم ويقضى بحكم آخر ، فإن هذا « الحكم الإسلامى » الأخير هو النافذ .

وإذا كان هذا هو الموقف الواضح للقرآن الكريم إزاء تحريم التماثيل ، فإن موقف السنة النبوية الشريفة كانت بنفس هذا الوضوح .

فقد روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « إن أصحاب هذه الصور (التماثيل) يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم » . ولن يستطيعوا ، وإنما يقال لهم ذلك على سبيل التعريض والتقريع لهم .

كما روى الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل كان يصنع التماثيل، سمعت النبى ﷺ يقول: « من صور صورة فإن الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ أبداً »، ثم قال له ابن عباس: «إن أبيت إلا أن تصنع ، فعليك بالشجر، وكل شيء ليس فيه روح ».

كما روى الإمام مسلم عن أبى الهياج الأسدى ،قال : قال لى على رضي الله عنه :ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

فكل هذه النصوص تدل دلالة قاطعة على تحريم التماثيل بيعًا وشراء ؛ وعرضاً واقتناء .

حكمة تحريم التماثيل :

العقل الإسلامى ـ ومن ورائه توجيهات العقيدة ـ يسقط التجسيد أو التشخيص كوسيلة للمعرفة ، ولذلك فالنفور من النحت فى الإسلام لم يكن موقفاً ضد الوثنية فقط ، بل موقفاً ضد ظاهر الأشياء ؛ لأن ظاهر الشيء ليس حقيقته .

العقل الإسلامى يتربى على الإيمان بالله إلهاً واحدًا ، وحقيقة لا يمكن أن تتجسد ولو بالتصور ، فالآية الكريمة تقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، وهى بذلك تعلم المسلم كيف يؤمن بالله حقيقة مجردة ، ولذلك ـ مع تحريم تصوير الرسول ﷺ وأهل بيته والصحابة ـ عرف الفن الإسلامى منذ البداية التعبير المجرد البعيد عن التجسيد للمخلوقات كلها ، وكانت الحلول التى طرحتها التعبيرات الفنية الإسلامية ، تعتمد على

الوحدة الزخرفية وعلى تشكيلات الحرف والكلمة [1] .

إن مزاج الروح الإسلامية لم يتح - عبر تاريخ الحضارة الإسلامية - لفن النحت للتماثيل الإنسانية أن يزدهر ، بل أن يكون مقبولاً ولا مألوفاً ،فغابت التماثيل المنحوتة للإنسان من حياة الحضارة الإسلامية ، منذ أن تطوى الإسلام صفحتها الجاهلية ، والتى كانت هى الأخرى مجلوبة من خارج شبه الجزيرة العربية ، من مواطن تأثير الوثنيات الهندية واليونانية والرومانية .

غابت التماثيل المنحوتة من حياة حضارتنا الإسلامية ، منذ طى هذه الصفحة الجاهلية ، وحتى صفحة الاتصال الحديث والمعاصر بالتطور الغربى ، ذلك الاتصال الذى تم فى ظل هيمنة الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام ، حتى لقد رأينا اللجنة التى تكونت بمصر لتخليد ذكرى على باشا مبارك (١٢٣٩ - ١٣١١هـ / ١٨٢٣ - ١٨٩٣م) عقب وفاته ، تعدل عن إقامة تمثال له ، بعد أن اجتمع لها المال الذى جمع لذلك ، وتختار أن تقيم به بدلاً من التماثيل - مدارس لتعليم الأيتام وأبناء الفقراء ، معللة ذلك على لسان رئيسها ؛ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) « بأن معظم الأمة المصرية تعد التماثيل إهانة لا تكريماً ، ويسمون التمثال « الصورة الممسوخة » [2] .

وقد يزعم زاعم أن السبب فى تحريم التماثيل فى الإسلام أن الناس كانوا يقدسونها ويعبدونها من دون الله ، فإذا انتفت مظنة العبادة لها فى عصرنا الحاضر ، انتفى التحريم !!

وهذا زعم ما أنزل الله به من سلطان ؛لأن تحريم التماثيل فى الإسلام يعد تحريمًا مطلقاً أبدياً لا يحده ولا يقيده زمان أو مكان ، فالله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان ، وهو أعلم بميوله وأهوائه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك] ، بل إنه تعالى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه] .

وإذا نحن نظرنا إلى واقع العصر الذى نعيش ،ورغم هذا التقدم العلمى المذهل مازال هناك من البشر من يعبد البقر ويقدس روثها .

---

(١) منير كنعان : مجلة القاهرة ، عدد (١٢٤) ، مارس ١٩٩٣م ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) د . محمد عمارة : مرجع سابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

بل إننا لنجد فى إفريقيا حالياً بعض القبائل مازال يعبد الأصنام ،وكذلك فى بعض دول الشرق الأقصى مازالت التماثيل تنتصب فى المعابد ، تلقى الخضوع والعبادة والتقديس من دون الله تعالى .

وفى هذه الحضارة الحديثة ما زالت بعض الأديان فى أكبر الدول تحتفظ بطابع اللامعقول ، طابع يتميز بأنه ضد العقل والمنطق والتفكير السليم ، ويتغافل هذا الطابع فى كثير من زواياها ، ولكن الإلف والزمن ، والتكرار والتعود ، كل ذلك جعل منها أديانا استمرت فى الماضى ، ومازالت تستمر فى الحاضر مع أنها خرافات وأساطير ، وقد أعلن كبار مؤرخى الأديان عن الأساطير فيها والخرافة ، ومع ذلك مازالت مستمرة ، وأمر الإنسان فى الحاضر أو فى الماضى غريب ، إن الإلف يغرس فى شعوره أن المألوف صحيح ، وأن ما عليه الأجداد والآباء من العقائد حق ، إنه يفعل ذلك دون تأمل أو فحص ، بل إنه يفر ويهرب من التأمل والفحص إذا أداه ذلك إلى إنكار المألوف من العقائد ، ويسكت فى نفسه بالقهر صوت الإنكار أو النقد (١) .

ومن هذا يتبين تحريم الإسلام للتماثيل تحريماً أبدياً « ولا عجب فى دين من قواعد شريعته سد الذرائع إلى الفساد ، أن يسد كل المنافذ التى يتسرب منها إلى العقول والقلوب شرك ؛ جلى أو خفى ، أو مشابهة للوثنيين وأهل الغلو من الأديان ، ولا سيما أنه لا يشرع لجيل أو جيلين ، وإنما يشرع للبشرية كلها فى شتى بقاعها ، وإلى أن تقوم الساعة ،وما يستبعد فى بيئة قد يقبل فى بيئة أخرى ، وما يعتبر مستحيلاً فى عصر قد يصبح حقيقة واقعة فى عصر آخر ـ قريب أو بعيد ـ كما سبق أن بينا .

ومن أسرار التحريم بالنسبة للصانع (المثال) أن ذلك المصور أو المثال الذى ينحت تمثالاً ؛ يملؤه الغرور،حتى لكأنما أنشأ خلقاً من عدم،أو أبدع كائناً حياً من تراب،وقد حدثوا أن أحدهم نحت تمثالا،مكث فى نحته دهراً طويلاً ، فلما أكمله وقف أمامه معجباً مبهورا أمام تقاسيمه وتقاطيعه،حتى إنه خاطبه فى نشوة من الغرور والفخر : تكلم . . تكلم !!

وفضلاً عن ذلك ، فقد كانت التماثيل ـ ولا تزال من مظاهر أرباب الترف والتنعم، يملؤون بها قصورهم، ويزينون بها حجراتهم،ويتفننون فى صنعها من معادن مختلفة ،

(١) د. عبد الحليم محمود : موقف الإسلام من الفن والعلم الفلسفة ،دار التعاون ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

وليس بعيداً على دين يحارب الترف فى كل مظاهره وألوانه ؛ من ذهب وفضة وحرير أن يحرم كذلك التماثيل فى بيت المسلم » (١) .

وهذا مثال آخر حى ومعاصر، نعرضه لكل من يستحيل فى نظره أن يفتتن إنسان العصر الحديث ـ فى ظل التقدم العلمى المذهل ـ بتمثال منحوت ، إلى درجة تفضيل هذا التمثال الجماد على الإنسان صنعة الله .

وقد ورد ذلك فى كتاب « الثقافة الإسلامية » للأستاذ محمد مرما دوك بكتال ؛ قال : « لا شك أن بعضكم يذكر البحث الذى أوردته الصحف البريطانية منذ سنوات ، وكان السؤال : لنفرض أن تمثالاً يونانيًا شهيراً ؛ جميلاً فريداً فى نوعه ، وهو من أجل ذلك لا يعوَّض ، كان فى غرفة واحدة مع طفل حى ، ثم اندلعت النيران فى الغرفة ، ولم يكن فى الإمكان إلا إنقاذ واحد من الاثنين ، إما التمثال وإما الطفل، فأيهما يمكن إنقاذه ؟!

إن كثرة عظمى من الذين أجابوا على هذا السؤال ـ الغريب العجيب ـ فى رسائلهم إلى تلك الصحف من الرجال ذوى الثقافة والمكانة المرموقة ، قالوا : إنه يجب إنقاذ التمثال ، وترك الطفل يهلك !

وكان حجة أصحاب هذا الرأى الغريب : أن ملايين الأطفال يولدون يومياً ، وذلك على عكس هذا التمثال التاريخى النادر، والذى لا يمكن تعويضه ، فإنه عمل فنى عظيم من تراث اليونان !!

أليس ذلك دليلاً على إمكانية تحول الإعجاب بهذا التمثال إلى عبادته ، كما يحدث فى عصرنا بالفعل ، بدليل إبداء الاستعداد لاستنقاذه وهو حجر ،وبترك طفل برىء للنار تحرقه ؟!

تماثيل العظماء والزعماء :

يقول المفكر الإسلامى السورى محمد المبارك فى هذا الموضوع فى محاضرة ألقاها فى جامعة الأزهر الشريف : « تواجهنا وتدخل حياتنا الاجتماعية طرائق وتنظيمات وعادات اجتماعية كثيرة ، منها ما لا يتفق مع معتقداتنا الصحيحة ، ومبادئنا الخلقية القويمة ، فمن ذاك : الطريقة التى سلكها أهل أوربا وأمريكا فى تخليد أبطالهم فى

(١) د. يوسف القرضاوى : الحلال والحرام ، المكتب الإسلامى ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

تماثيل تنصب لهم،ولو نظرنا فى هذا الأمر نظرة التحرر من ذلة الخضوع لكل ما تمليه حضارة الغرب،وتأملنا فى فلسفة هذه الطريقة فى التعبير عن تخليد الأثر والمكارم ؛ لوجدنا أن العرب بوجه خاص لم يخلدوا من عظماء رجالهم إلامكارمهم وأعمالهم المجيدة الطيبة ، كالوفاء والكرم والشجاعة،وأن طريقتهم فى تخليدهم كانت فى ذكر قصص بطولاتهم وتناقلها بين الناس جيلاً بعد جيل ،أو فى نظم الشعر فى مدحهم،والإشادة بهم،وبهذه الطريقة خلد حاتم بكرمه،وعنترة بشجاعته قبل الإسلام.

ولما جاء الإسلام أكد هذا المعنى ، فجعل أشرف الخلق وخاتم الرسل بشراً من الناس ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وجعل قيمة الناس بأعمالهم لا بأجسامهم ،وجعل الرسول قدوة يقتدى به البشر ، ونهى عن تقديس البشر ،وتعظيمهم تعظيماً يشبه العبادة ، ويتضمن احتقار النفوس البشرية الأخرى .

ولذلك نادى الخليفة الأول حين انتقل رسول الله إلى جوار ربه : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

لقد خلد الإسلام الناس بأعمالهم الصالحة النافعة ، وخلد فى قلوب المسلمين ـ خواصهم وعوامهم ـ رجالات الإسلام ؛ فعرف كبيرهم وصغيرهم عمر بالعدل ، وأبا بكر بالحزم والحكمة ، وعلياً بالزهد والشجاعة ، ولم يحتج أحد منهم إلى تمثال مادى من الحجر ينصب ليتذكره الناس ، فقد خلدته أعماله وأخلاقه فى قلوبهم .

إن فى طريقة التخليد بإقامة التماثيل المادية رجوعاً إلى الوراء ، وانحطاطاً عن المرتبة السامية ، سلكها اليونان والرومان الأوربيون من بعدهم ؛ لأنهم جميعًا وثنيون فى طباعهم ، منحطون عن العرب والمسلمين فى مستوى خلقهم ، وتقديرهم للقيم الخلقية، بل إنهم لعجزهم عن تصور تحقيق البشر للمثل الأعلى بالبطولة ، ألحقوا أبطالهم بالآلهة وجعلوا الآلهة أبطالاً .

فالإسلام لا ينحى إلى تمجيد شخص مهما عظم، ولو كان من مبادئ الإسلام تمجيد الأشخاص لرأينا تماثيل للنبى والصحابة ، بل إننا نجد أن النبى ﷺ رغم عظم منزلته عند الله قبل الناس ـ ينهى المسلمين عن المبالغة فى المدح والإطراء والتعظيم،فيقول:« لا

تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ،ولكن قولوا :عبد الله ورسوله » رواه البخارى .

بل لقد نهاهم عن مجرد القيام وقوفاً إذا رأوه تحية له وتعظيماً ، فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً » رواه أبو داود .

وجاءه نفر من الناس فقالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : « يا أيها الناس ، قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل » رواه النسائى .

إن الإسلام يهدف من وراء ذلك إلى سد الذرائع واتقاء الشبهات ، فنصب هذه التماثيل يخشى افتتان الناس بها ، وقد رأينا ـ فيما سبق ـ أن هناك شعوباً فى عصرنا الحاضر لازالت على عبادتها للأوثان والبقر !!

وقد روى أن الأصنام التى عبدها قوم نوح (ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر) التى ورد ذكرها فى سورة نوح ، كانت أسماءً لرجال صالحين من قوم نبى الله نوح عليه السلام ، وبعد موتهم نصب الناس تماثيل لهم ، تذكيراً بهم وبصالح أعمالهم ، وتعظيماً لشأنهم ، ثم تطور الأمر إلى عبادتهم .

وفى تفسير القرطبى ، ذكر الثعلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى :﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** (٢٣)﴾ [نوح]: أن هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ، أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم تذكروهم بها ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسخ العلم عبدت من دون الله ».

وقال ابن العربى : « وقد شاهدت بثغر الإسكندرية ، إذا مات ميت صوروه من خشب فى أحسن صورة ، وأجلسوه فى موضع من بيته ، وكسوه بزيه إن كان رجلاً ، وحليتها إن كانت امرأة ، وأغلقوا عليه الباب ، فإذا أصاب واحداً منهم كرب أو تجدد له مكروه ، فتح الباب عليه وجلس عنده يبكى ويناجيه ، حتى يكسر سَوْرَة حزنه بإهراق دموعه ، ثم يغلق الباب عليه وينصرف ، وإن تمادى بهم الزمان تعبدوها من جملة الأصنام ».

والنتيجة التى ننتهى إليها فى هذا الموضوع : أن الإسلام لم يرد للأمة الإسلامية أن تدور حياتها حول تقديس المصلحين أو تعظيم المفسدين !! وذلك بإقامة التماثيل لهم، فليس من شأن الدين مطلقاً أن يصرف عواطف الناس إلى تقديس فرد مهما كان ، بل هو يدعوهم إلى عبادة الله وحده وتوحيده ، فهو وحده الحقيق بالتعظيم والتمجيد والتقديس : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام] .

إباحة لعب الأطفال :

إذا كانت العلة فى تحريم التماثيل هى وضعها فى الميادين العامة أو الشوارع أو البيوت فى أوضاع توحى بالتمجيد والتعظيم ، مما يخشى معه خدش عقيدة التوحيد من قريب أو من بعيد ، حاضراً أو مستقبلاً ـ إذا كان ذلك كذلك ـ فإن هذه العلة منتفية ولا محل لها فى حالة لعب الأطفال ، كالعرائس وتماثيل الحلوى التى لا تلبث أن تؤكل ، فهنا لا مظنة للتعظيم ، بل هى ممتهنة ، فالطفل إما أن يلعب بها ، أو يأكلها !! كما أنه ليس من شأنها أن تبقى زمناً طويلاً .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات (لعب مجسمة) فربما دخل علىَّ رسول الله ﷺ وعندى الجوارى ، فإذا خرج دخلن ، رواه البخارى وأبو داود .

وعنها أيضاً ، قالت : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ، وكان يأتينى صواحب لى ، فكن ينقمعن ـ يختفين ـ حياءً من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله يسر لمجيئهن إلىَّ ، فيلعبن معى . رواه الشيخان .

وعنها كذلك أن النبى ﷺ قدم عليها من غزوة تبوك أو خيبر ، وفى سهوتها ـ السهوة : الرف ـ ستر، فهبت الريح فكشفت عن بنات ـ لعب ـ لعائشة ، فقال : « ما هذا يا عائشة ؟» قالت : بناتى ، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع ، فقال : «ما هذا الذى أرى وسطهن ؟ » قالت : فرس،قال :« وما هذا الذى عليه ؟» قالت : جناحان، قال :« فرس له جناحان ؟!» ،قالت: أما سمعت أنَّ لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. رواه أبو داود والنسائى.

والسيدة عائشة كما نعلم كانت صغيرة السن ، فقد تزوجها الرسول ﷺ وهى بنت تسع سنين ، فكانت تلعب وصواحبها بالبنات ، أى باللعب والعرائس كما ورد فى الأحاديث السابقة .

قال الشوكانى : فى هذا الحديث دليل على أنه يجوز تمكين الصغار من اللعب بالتماثيل ، كما قال القاضى عياض : إن اللعب بالبنات للبنات رخصة .

وكذلك نقل الماوردى فى « الأحكام السلطانية » : أن أبا سعيد الإصطخرى من أصحاب الإمام الشافعى تقلد حسبة بغداد فى أيام المقتدر ، وأقر سوق اللعب ولم يمنعها ، وقال : قد كانت عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات بمشهد من رسول الله ﷺ ، فلم ينكره عليها .

وترتيباً على كل ذلك ، فإن لعب الأطفال المجسمة يتم استثناؤها من تحريم التماثيل ؛ وتدخل فى دائرة الإباحة ، نظراً لكونها ممتهنة ، وأنها أداة تسلية ولعب للأطفال ، فضلاً عما تقوم به « العرائس » من تدريب البنات ، وتعويدهن على تربية صغارهن فيما بعد .

الآثار وسيلة لدراسة التاريخ :

إذا كان الإسلام يقف موقف التحريم من التماثيل على هذا النحو ، فما هو الموقف من الآثار والتماثيل الموجودة فى المتاحف والأماكن الأثرية ؟

وردّا على هذا السؤال الهام نثبت هنا هذه الفتوى [1] : « . . . إذا كان ذلك ، وكانت الأمم الموغلة فى القدم كالمصريين القدماء والفرس والرومان ، وغير أولئك وهؤلاء ممن ملؤوا جنبات الأرض صناعة وعمراناً قد لجؤوا إلى تسجيل تاريخهم اجتماعياً وسياسياً وحربياً ؛ نقوشاً ورسوماً ونحتاً على الحجارة ، وكانت دراسة تاريخ أولئك السابقين والتعرف على ماوصلوا إليه من علوم وفنون ، أمراً يدفع الإنسانية إلى المزيد من التقدم العلمى والحضارى النافع ، وكان القرآن الكريم فى كثير من آياته قد لفت نظر الناس إلى السير فى الأرض ودراسة آثار الأمم السابقة والاعتبار والانتفاع بتلك الآثار ، وكانت الدراسة الجادة لهذا التاريخ لا تكتمل إلا بالاحتفاظ بآثارهم وجمعها واستقرائها ، إذ منها تعرف لغتهم وعاداتهم ومعارفهم فى الطب والحرب والزراعة والتجارة والصناعة ، وما قصة حجر رشيد الذى كان العثور عليه وفك طلاسمه فاتحة التعرف علمياً على التاريخ القديم لمصر ، وما قصة هذا الحجر وقيمته التاريخية والعلمية بخافية على أحد ، والقرآن الكريم حث على دراسة تاريخ الأمم وتبين الآيات فى هذا الموضع :

---

(١) جاد الحق على جاد الحق : مرجع سابق ، ص ٣٤٥٥ ـ ٣٤٥٧ .

إذ كان ذلك كذلك ، كان حتماً الحفاظ على الآثار والاحتفاظ بها سجلاً وتاريخاً دراسياً ؛ لأن دراسة التاريخ والاعتبار بالسابقين وحوادثهم ،للأخذ منها بما يوافق قواعد الإسلام والابتعاد عما ينهى عنه ، من مأمورات الإسلام الصريحة الواردة في القرآن الكريم في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(٤٦)﴾ [الحج] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ [العنكبوت] ، وقوله سبحانه : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)﴾ [الروم] ، وقوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)﴾ [فاطر] .

ولما كان التحفظ على هذه الآثار هو الوسيلة الوحيدة لهذه الدراسة ، أصبح حفظها وتهيئتها للدارسين أمراً جائزاً ، إن لم يكن من الواجبات ؛ باعتبار أن هذه الوسيلة للفحص والدرس ضرورة من الضرورات ، وقاعدة الضرورة مقررة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١٩٠] .

وتخريجاً على هذا : كان الاحتفاظ بالآثار ؛ سواء كانت تماثيل أو رسوماً أو نقوشاً في متحف للدراسات التاريخية ، ضرورة من الضرورات الدراسية والتعليمية لا يحرمها الإسلام لأنها لا تنافيه ، بل إنها تخدم غرضاً علمياً وعقائدياً إيمانياً حث عليه القرآن ، فكان ذلك جائزاً إن لم يصل إلى مرتبة الواجب ، بملاحظة أن الدراسات التاريخية مستمرة لا تتوقف ».